جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة »

— ١٠ —

حدثنا أبو الحسن علي بن أبي محمد الصلحي الكاتب قال : رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيعي وكان يقال إنه كان يكسب في كل شهر الف دينار من جرايات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان ومما يأخذ من العامة قال وكان له دار قد جعلها شبيه البيمارستان من جملة داره يأوي اليها ضعفاء الأعلة [1] يعالجهم ويقوم باودهم وأدويتهم وأغذيتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه في ذلك . قال أبو الحسن فاسكت بعض فتيان الرؤساء بمصر وأسماه لي فذهب عني اسمه وكنت هناك فحمل اليه أهل الطب وفيهم القطيعي فاجمعوا على موته الا القطيعي وعمل أهله على غسله ودفنه فقال القطيعي دعوني اعالجه فان برىء والا ليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه فخلاه أهله معه فقال : هاتم غلاما جلداً ومقارع فأتي بذلك فأمر به فمدد فضربه عشر مقارع من أشد الضرب

(١) جمع عليل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم مس مجسّه وضرب به عشرة أخرى شديدة، ثم مس مجسه وضربه عشرة اخرى ثم مس مجسه فقال للطب[1] ايكون للميت نبض يضرب؟ فقالوا لا قال فجسوا فجسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشرة أخرى فقوي النبض، فضربه عشرة أخرى فتحرك الميت، فضربه عشرة أخرى فصاح، فقطع عنه الضرب فجلس العليل يجس بدنه ويتأوه وقد أثاب قوته اليه فقال ما تجد؟ فقال انا جائع فقال أطعموه الساعة فجاءوه بما اكل ورجعت قوته وقمنا وقد برأ فقال له الطب من أين لك هذا؟ قال كنت مسافراً في قافلة فيهم أعراب يخفرونا فسقط منهم فارس عن فرسه فأسكت فقالوا قد مات فعمد شيخ منهم فضربه ضرباً عظيماً كثيراً ومارفع الضرب عنه حتى أفاق فعلمت أن الضرب جلب اليه حرارة أزالت سكتته فقست عليه أمر ذلك العليل

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد الأزدي قال حدثني أبو علي الحسين بن محمد الانصاري الكاتب قال كنت وأنا احدث وقع بين يدي حمد دلويه[2] وهو إذ ذاك يكتب للمؤتمن سلامة[3] حاجب القاهر فجاءه يوماً أبو علي الحسن[4] بن القاسم بن عبيد الله وأبو جعفر الكرخي مسلمين[5] فحبسهما للانس وأجلسهما في دست في صدر قبة كانت له وجلس دونهما على مطرح وفرش في بيت الى جانب القبة له باب اليها واجلس فيه ابنه وأجلسني معه وكأنه رفع الرجلين عن معاشرتهما بنا ونحن أحداث واراد

(١) يريد الاطباء (٢) كذا بالاصل (٣) بالاصل: اخي حج صاحب (٤) الصواب الحسين وليراجع تجارب الامم ١: ٢٦٦ (٥) بالاصل: مسلمان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بذلك سماع كلامه [١] والانس بسماع الغنى [٢] وكان الى جانب القبة بيت آخر فأجلس الغنى فيه ومدت ستارة على بابه وأخذوا في الشراب ونحن نسمع الغناء وما يجري من كلامهم ولا نرفع أصواتنا بالكلام لئلا يسمعوا ذلك فلما توسطوا الشراب احضر باكورة فقبلها ثم أقبل عليهما وقال الانصاف أن أقسمها بيننا أثلاثا ولكن قد وفرت قسمي عليكما يا سيدي فاقسماها انتما فأخذها الحسن [٣] بن القاسم فقال يا سيدي يابا جعفر هذه تحب أن آخذ انا ثلثيها وأعطيك ثلثها فقال الكرخي فعلام يا سيدي فقال لانك انت وأخوك ولدتما توءما فانت نصف توءم [٤] وأنا تام لأني ولدت وحدي ولو كان أخوك حاضراً لكان لي ولك وله اثلاثا ومع غيبته فانت لا تستحق أكثر من الثلث فقال له أبو جعفر ما أعجب هذا أنت رجل كان جدك نصرانياً يعتقد أن الله ثالث ثلاثة ونشأ أبوك فصار ثنوياً وترك مرتبته [٥] ونشأت أنت فكان القياس أن تترك مرتبة واحدة أخرى وتركت مرتبتين فنشأت ملحداً لا تعتقد شيئاً أصلا ولم نعيرك بذلك تعيرنا أنت بالتوءم ولا ذنب لنا فيه وهو عار على الحقيقة فغضب الحسن [٦] بن القاسم وابتدى [٧] ليجيب فقام دلويه وقال الطلاق ثلاث لازم لي وكل ما املكه صدقة ان اجبت يا سيدي بشيء ولا تكلمت أنت يا سيدي يابا جعفر بشيء فإن هذا يخرج الآن عن المزح الى العربدة والأحقاد والوحشة التي تبقى وقدر كما يرتفع عن هذا ،

(١) لعله كلامهما (٢) يريد الغناء (٣) الصواب : الحسين (٤) لعله تام (٥) الصواب مرتبة اي مرتبة واحدة (٦) الصواب : الحسين (٧) لعله : فانتدب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال : فسكتنا ساعة واجمين ولم يزل أبو محمد يداريهما ويبسطهما ويستعطف كل واحد منهما لصاحبه حتى اصطلحا .

***

أنشدني محمد بن عبيد[1] الله بن سكرة الهاشمي وهو من وُلد عبد الله بن علي بن المهدي المعروف بابن رائطة غلب عليه اسم أُمه كما غلب على إبراهيم ابن المهدي اسم أُمه شكلة يهجو أبا العباس بن أبي الشوارب وهو من وُلد خالد بن أُسيد الأُموي أخي عباد بن أُسيد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم لما تقلد قضاء القضاة وكان العامة تلقبه بحدَنْدل :

خلعتُ على حدَندل من مديحي قميصاً لا اكتسى رجلٌ كساهُ
على نفسي دعوتُ لأن جهلي دعاني إن شرهت الى نداه
وكيف رجوتُ جوداً من عدوي ولم أغسل حسامي من دماه

لأبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون العدوي التغلبي قصيدة أولها[2] :

وقوفك في الديارِ عليك عارُ وقد ردَّ الشباب المستعارُ

ويقول فيها :

وطال الليلُ بي ولربَّ ليلٍ[3] نعمتُ به لياليه قصارُ
وندماني السريع إلى ندائي[4] على عجلٍ وأقداحي الكبار
عشقتُ بها عواريَّ الليالي أحقُّ الخيل بالركض المعار

(١) في يتيمة الدهر ٢ : ١٨٨ اسم ابيه عبد الله (٢) ص ٢٣ من ديوانه (بيروت ١٩٠٠) (٣) في الديوان دهر (٤) في الديوان لقائي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إذا نجز الظلام امتدّ آل كأنا ذرّه وهو البحار [١]
يموجُ على النواظر فهو ماءٌ ويلفح بالهواجر فهو نارُ
فكم بلدٍ شتتناهن فيه ضحًا وعلى منابره المغار
وكنّ إذا أغرن على ديارٍ رجعن ومن طرائدها الديارُ [٢]
وكم ملكٍ نزعنا الملك منهُ وجبار بها دمه جبارُ

وله قصيدة أولها [٣] :

عذيري من طوالع في عذاري

يقول فيها :

أرى نفسي تطالبني بأمرٍ قليل دون غايته اصطباري [٤]
وما يغنيك من همٍ طوالٍ إذا قرنت بأحوال قصار
وقيل لي انتظرْ زمنًا ومن لي بأن الموت ينتظر انتظاري

أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالببغاء الكاتب لنفسه يصف شرابًا قد جاء [٥] أبيض أبياتًا ثابتةً في ديوانه اختصرت منها قوله [٦] :

بالقفص [٧] للقصف منزل كثب ما للنصارى [٨] في غيره أربُ

(١) في الديوان اذا انحصر الظلام امتد ليل كأنا ورده (٢) في الديوان الدمار (٣) ديوان ص ٧٠ (٤) في الديوان افتصاري (٥) لعله سقط في اناء (٦) يتيمة الدهر ١ : ١٨٦ (٧) قال في معجم البلدان : القفص قرية مشهورة بين بغداد وعكبر او كانت من مواطن اللهو ومعاهد النزه ومجالس الفرح ينسب اليها الخمور الجيدة (٨) في اليتيمة : للتصابي والنصارى اصح لتحليلهم شرب الخمور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دارت نجوم[1] الكؤوس في فلك ... منه له من فتوتي قطب
من كل جسم كأنه عرض ... يكاد لطفاً باللحظ يذتهب
نورٌ وإن لم يغب ووهمٌ ولو ... صحّ[2] وماءٌ لو كان ينسكب
لا عيب فيه سوى أذاعته الـ ... ـمرّ الذي في حشاه يحتجب
كأنما صاغه النفاق فما ... يخلص فيه صدق[3] ولا كذب
فهو إلى لون ما يجاوره ... على اختلاف الطباع ينتسب
إذا ادعاه اللجين أكذبه ... بالراح في صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حالية ... فيه علينا الأدوار[4] والنخب[5]
فالراح بدرٌ والجام هالته ... والأفق كفي والأنجم الحبب

وأنشدني لنفسه مقطوعة :

فليالي الصبا أسرّ ليالٍ ... وزمان الهوى ألذّ زمان
وأسرّ البلاد ما حمد السا ... كن فيها خلائق الجيران

* * *

حدثني[6] بعض المتطببين قال حدثنا أبو منصور بن مارمة كاتب أبي مقاتل صالح بن مدرك الكلابي أمير دجلة وكان أبو منصور من رؤساء أهل الصراة[7] الذين يضرب بهم المثل في كل فن كان أديباً وقد شاهدته

(١) في اليتيمة : السرور (٢) في اليتيمة ضج (٣) في اليتيمة : منه صدق (٤) في اليتيمة الاوتار (٥) قال شارح ديوان مسلم بن الوليد (ص ١٦٦) النخبة هي الكاس الكبير . والاظهر أنه يريد الشربة يشربها الرجل لصحة حبيبه (٦) الفرج بعد الشدة ٢ : ٩٩ (٧) في الفرج : البصرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم أسمع مثل هذه الحكاية قال أخبرني شيوخ[1] قال كان بعض أهلنا استسقى وأيس من الحياة فحمل الى بغداد فشوور الطب[2] وفيه فوصفوا له أدوية كباراً فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها فلم تنجع فأيسوا منه وقالوا: لا حيلة لنا في برئه وهذا تالف فسمع العليل ذلك فقال لمن كان معه دعني الآن أتزوّد من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية قبل أجلي، فقالوا كل ما تريد، فكان يجلس على دكان باب الدار التي ينزلها ببغداد فمهما رآه يجتاز على الطريق اشتراه وأكله فمر به رجل يبيع الجراد مطبوخاً فأجلسه واشترى منه عشرة أرطال وأكلها بأسرها فلما كان بعد ساعة من أكله انحلّ طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلثمائة مجلس وضعف وأيس منه ثم انقطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وأثابت[3] قوته وبرأ فخرج برجليه في اليوم الخامس يتصرف في حوائجه فرآه أحد الطب وعجب من أمره وسأله عن الخبر فعرّفه فقال ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل ولا بدأن يكون في الجراد الذي فعل خاصية فأحب أن تدلني على بائع الجراد قال فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية ورآه الطبيب فقال ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته أنا أصيده وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه على الأيام وأبيعه فقال من أين تصطاده قال فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب أعطيك دنانير

(١) في الفرج: شيوخنا (٢) في الفرج: الاطباء وقد اكثر المؤلف من استعمال الطب بهذا المعنى (٣) بالاصل انابت وفي الفرج: وثابت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتدعُ شغلك وتجيءُ معي الى الموضع الذي اصطدت منه الجراد قال نعم ! فخرجا وعاد الطبيب من غدٍ ومعه من الجراد شيءٌ وحشيشة قالوا له : ما هذا فقال صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها مازريون وهي من دواء الاستسقاء وإذا دفع الى العليل منها وزن درهم أسهله إسهالاً يزيل الاستسقاء ولكن لا يؤمن أن ينضبط ولا يقف فيقتله بالذرب فالعلاج بها خطر جداً وهي مذكورة في الكتب ولفرط غررها [1] لا يكاد أن يصفها الطب فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة وأنضجتها معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبخين اجتمعا عليها وقصر ، وتناولها هذا وقد تعدلت بمقدار ما أبرأته ولم تدفع طبعه دفعاً لا ينقطع قبرأ .

(١) في الفرج : ضررها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net